

الشاهد النحوي خارج زمن الاحتجاج بشار بن برد أنموذجا

Dealing with the grammatical evidence outside the era of quoting Bachar Ibn Burde as a model

أحمد لعويجي

جامعة محمد بوضياف- المسيلة (الجزائر)

مخبر الدراسات اللغوية والنظرية- جامعة المسيلة

ahmed.laoudji@univ-msila.dz

عبد الصمد علواني *

المركز الجامعي سي الحواس بركة (الجزائر)

مخبر الدراسات اللغوية والنظرية- جامعة المسيلة

abdessamadallouani@cu-barika.dz

ملخص:	معلومات المقال
يرتكز هذا الموضوع أساسا على تناول الشاهد النحوي خارج زمن الاحتجاج أي بعد انقضاء المجال الذي حدده علماءنا الأوائل فقد احتج العرب بشعراء الطبقة الأولى والثانية ونفوا ذلك عن المحدثين والمولدين. بسبب شيوع اللحن في ألسنتهم. لكن من الشعراء من بلغوا مبلغا حسنا في الفصاحة ولم يساعفهم تأخرهم الزمني ليحتج بهم فهل كان لهؤلاء حظا لدى المحتجين الأوائل. وهل هو موضوعي إلغاؤهم من دائرة الاحتجاج؟	تاريخ الارسال: 2022 / 05 / 23
	تاريخ القبول: 2022 / 10 / 29
	الكلمات المفتاحية: ✓ لاحتجاج ✓ الشاهد النحوي ✓ الفصاحة.
Abstract :	Article info
<i>The main focus of this topic is on dealing with the grammatical evidence outside the era of quoting, that is, after the end of the field identified by our early scholars. The Arabs invoked the poets of the first and second classes and denied this to the modernists because of the prevalence of melody in their tongues, but of the poets who reached a good amount of eloquence and were not helped by their delay in time to be invoked. Is it objective to remove them from the protest circle?</i>	Received 23/ 05 / 2022
	Accepted 29 / 10/ 2022
	Keywords: ✓ Quoting ✓ grammatical evidence

similarity and difference between what was and what is common now in modern linguistics.

✓ *eloquence.*

1. مقدمة:

بحث الرواة العرب في عملية جمعهم للغة عن لغة راقية مشافهة عمن لا يعرف القراءة والكتابة ؛ لأن معرفتهما تؤدي إلى الإخلال بالسليقة والطبع ؛ وقد تم أخذها عن العرب الفصحاء قبل القرن الثاني الهجري إلى غاية القرن الرابع هجري، فكانوا يرحلون إلى البوادي ويجمعون اللغة ، والمغزى في الأخذ من توجههم إلى القبائل العربية النائية هو عزلتها وعدم اختلاطها بغير العرب ، وهم في كل هذا متأثرين بمنهج المهتمين بجمع الأحاديث النبوية الشريفة وتقصي صحتها ، منتهجين في ذلك التزاما صارما في جمع هذه المادة العلمية من كلام العرب الأصليين (من شعرونثر) ، كما قاموا بتحقيق كل الظروف العلمية المساعدة على استنباط اللغة من منبع صافي ، بجعلهم القرآن المحور الأساسي الأكبر الذي قامت لأجله الدراسات اللغوية ، ومن ثم إعطاؤهم الاهتمام الكبير لكلام العرب وخاصة الشعر ، وذلك لتعلقهم الشديد به ، ثم أبانوا بعد ذلك عن الشق القواعدي في الاستعمال اللغوي فأصبح خارجا عن الصواب كل من يخالف هذه القواعد ، كما أن تدخل بعض الظروف الخارجية في جمع اللغة نحو التكسب بالرواية أدى بهم إلى صناعة بعض النصوص وتغيير روايتها خضوعا لحاجة الطالب ، هذا وأن المنافسة والسعي إلى التفوق بين البصرة والكوفة كان له أثره الواضح على اللغة . وما يشغل بحثنا اليوم هو قضية الاستشهاد اللغوي خارج هذه القيود المحددة من طرف علماء العربية ، ومدى وجوده في شعرواحد من أبرز الشعراء المحدثين (بشار بن برد) ومحاولة الكشف عن هذه الشواهد ومدى مساهمتها في التععيد للنحو العربي .

إشكالية البحث : بما أن الاحتجاج في العربية محكوم بضوابط زمانية ومكانية اعتمدها اللغويون في جمع المادة اللغوية ومن ثمّ النحاة في التععيد للغة العربية فقد ألغى جزءٌ كبيرٌ من اللغة لم يعتد به ولم يدون في كتب النحاة وعليه نطرح إشكالية إقصاء الكثير من التراث اللغوي من دائرة الاحتجاج بسبب زمني ، على الرغم من توفر شرط الفصاحة فيه ، وبشار بن برد بصفته أول المحدثين الذين اختلف حول الاحتجاج بلغتهم ، فإننا نحاول فتح مجال للتعرف على النحاة واللغويين الذين احتجوا بما وراء عصر الاحتجاج عامة ، وبشعر بشار بن برد خاصة ونتطرق للنحاة الذين رفضوا ذلك متبعين منهجا وصفيا احصائيا

أهداف البحث: الأهداف المرجوة من هذا البحث تتمحور في معرفة الإجابة على التساؤلات التالية:

- لماذا لم يحتج النحاة بشعر المحدثين والمولدين رغم توفر شرط الفصاحة في لغتهم
- هل احتج سيبويه بشعر بشار بن برد
- هل الاحتجاج توقف عند القرن الثاني إلى الرابع هجري
- إمكانية إعادة النظر في ضوابط الاحتجاج وتوسيع المدونة اللغوي

2. الشاهد لغة واصطلاحا:

وفي هذا المبحث نتناول بالدراسة الاستشهاد من الناحية اللغوية والاصطلاحية :

1.2 لغة:

جاء مصطلح الشاهد في الكثير من القواميس اللغوية بمعنى متقارب وقد ذكر في لسان العرب فليل هذا رجل شاهد والجمع أشهاد وشهود ، وشهيد والجمع شهداء والشهادة خبر قاطع تقول منه : شهد الرجل على كذا ، وربما قالوا شهد الرجل بسكون الهاء للتخفيف عن الأخفش وقولهم اشهد بكذا أي احلف والتشهد في الصلاة معروف قال أبو عبيدة معنى شهد الله قضى أن لا إله إلا هو ، وحقيقته علم الله وبين الله لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه وشهد الأمر والمضمر شهادة ،

فهو شاهد من قوم شهّد وقوله تعالى (وذلك يوم مشهود) أي محضور يحضره أهل السماء والأرض . (ابن منظور، لسان العرب، د.س)

فالشاهد لغة هو العالم الذي يبين ما علمه وشهده وكل ما مشهود مراقب ومحضور من طرف جمع من الناس . وجاء في القاموس المحيط الشهادة : خبر قاطع ، وقد شهد كعلم وكُرّم وشهودا : حضره فهو شاهد جمع شهود وشهّد و شهد لزيد بكذا شهادة :أي أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد والشاهد من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، واللسانُ ، والمَلَك . (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 2005) ولا يختلف ما جاء في قاموس المحيط عما ورد في لسان العرب فكلاهما يرى الشاهد خبرا قاطعا مشهودا

2.2 اصطلاحا:

أما في الاصطلاح اللغوي فهو جملة من كلام العرب أو ما جرى مجراه، كالقرآن الكريم تتسم بمواصفات معينة، وتقوم دليلا على استخدام العرب لفظا لمعناه، أو نسقا في نظم أو كلام، أو على وقوع شيء إذا اقترن بغيره أو على علاقة بين لفظ وآخر، أو معنى وغيره، وتقديم أو تأخير واشتقاق أو بناء . ونحو ذلك مما يصعب حصره ومما هو محسوب في مناحي كلام العرب الفصحاء (يحيى عبد الرؤوف، الشواهد اللغوية، 1992) أي هو الإتيان بشيء من كلام العرب الذين يعتد بلغتهم في عصر الاحتجاج من أجل إثبات قضية ما سواء كانت نحوية أو صوتية أو دلالية .

والشاهد كذلك : هو قول عربي لقائل موثوق بعربيته ، يورد للاحتجاج والاستدلال والشاهد النحوي يكون إما آية قرآنية أو بيتا من الشعر أو قولاً سائرا وتطلق كلمة الشاهد أكثر على الأبيات الشعرية دلال على قول أو رأي (محمد سميرنجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، 1985) وتشترط الثقة في من يأتي بالشاهد فإن لم يكن ثقة نقل عن عربي فصحيح فلا يعتد به ولا يحسب مع الشواهد التي وردت في كتب النحاة وقد يكون هذا الشاهد قرآنا أو حديثا أو شيئا من كلام العرب الفصحاء .

ويراد كذلك بالشاهد ما يؤتى به من الكلام العربي الفصيح ليشهد بصحته نسبة لفظ أو صيغة أو عبارة أو دلالة إلى العربية فكل ما نسب شيء إلى العربية (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة، د س ط) أتوا بشاهد له يثبت به ويقرره في مكانه .

والشاهد عند أهل العربية على حد قول التهانوي (هو الجزئي الذي يستشهد في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيته ، وهو أخص من المثال (التهانوي محمد علي الفاروقي ، كشاف اصطلاحات الفنون، 1996)

ويقصد بالجزء أي جزء من آية قرآنية أو حديث أو شعر يستدل به على صحة قضية ما لكن صاحب التعريف لم يذكر شرط هذه الجزئية وقيود الاستدلال بها فلم يحدد لها زمنا معيناً ومكانا معيناً كما فعل النحاة قديما .

3. بين الشاهد والمثل :

والفرق بين الشاهد والمثل أن المثل قول يورد للتمثيل به على حقيقة قاعدة لا للتدليل على صحتها والاحتجاج على سلامتها ولهذا قال العيني في التعليق على تمثيل الأشموني في قول أبي العلاء المعري : ولولا الغمد يمسكه لسالا على إثبات المبتدأ بعد لولا وهو يمسكه قال وهذا للتمثيل لا للاستشهاد فإن المعري لا يحتج بشعره (محمد سميرنجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، 1985)

والتمثيل له غرض إفهامي أي تعليمي قد يستخدم في شرح بعض الدروس التعليمية فيؤتى به لتوضيح ذلك الإشكال في أفهام الدارسين، أما الشاهد فيختص بضوابط تعنى بالتقعيد للنحو العربي فالأول تعليمي والثاني علمي.

والخلاصة أن التمثيل يطلق على ما ليس من كلام العرب من النصوص في اصطلاح النحاة متجاوزا عصر التوثيق للغة او مصنوعا للبين والايضاح اما كلام العرب الموثق من جهة نظر علماء اللغة فيرد تحت الاستشهاد والاحتجاج وما يشتق منهما (عيد محمد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، 1988) وعليه يمكن القول أن البين بينهما واضح حتى في المعنى اللغوي فتمثيل الشيء بالشيء ليس كوضع شاهد عليه .

4. بين الاستشهاد والاحتجاج :

كل من الاستشهاد والاحتجاج بهذا المعنى السابق يتلاقيان في مجرى واحد هو : سوق ما يقطع ويبرهن على صحة القاعدة أو الرأي لكن غالبا ما يستخدم في كتب النحو مصطلح الاحتجاج لغلبة مدلول الحجة والغلبة لمصطلح الاحتجاج فهو يستخدم في المواقف التي تتطلب المغالبة والجدل بقصد التفوق

ونصرة الرأي وهناك موضع آخر يغلب فيه استعمال هذا اللفظ ومشتقاته وهو الدلالة على فصاحة عربي أو هجنته فيقال عنه مثلا "يحتج له " أو علماء اللغة " يجعلونه حجة " وكلا المصطلحين في المعنى يكادان يتفقان (عيد محمد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث ، 1988) ، وكلا المصطلحين لهما معنى واحد إلا أن السبب في كثرة استخدام النحاة لمصطلح الاحتجاج واستغنائهم على مصطلح الاحتجاج هو أنه مصطلح حمّال دلالات متعددة تصب في نفس الحقل الدلالي للاحتجاج كالحجة والحجاج كما يعطي جذر حجج مدلول الغلبة في الجدل .

5. أهمية الاستشهاد :

وللاحتجاج أهمية بالغة تكمن في كونه:

- 1- " شرح للقواعد عن طريق ذكر الأمثلة التي توضح هذه القواعد " . فكل قاعدة غامضة أو مهمة يستعان لها بحجة أو بشاهد نحوي بغية تبسيطها للمتعلمين .
- 2- " بناء القواعد النحوية فنصوص الاحتجاج هي محور الارتكاز في البحث النحوي، فهي مصدر القواعد ومحك صحتها جميعا. " (حسان تمام، الأصول، 1982)
- 3- أخذ اللغة من منبعها الأصلي والمحافظة على كيانها وضمان استمرارية وجودها .
- 4- الاحتجاج خاصية لغوية وضرورة ملحة استطاع علماء العربية من خلالها تقنين لغتهم فوصلوا بها إلى مستوى راقٍ .

5- وظيفة الشواهد :

للشواهد وظيفتين أساسيتين :

الأولى : إثبات واقع اللغة في مستوياتها للأصوات أو الصرف أو الصيغ ، والنحو والتركيب ، و المتن والدلالة **الثانية :** أنها مأخذ ضوابط اللغة وحدودها ، و سنن أهل السليقة فيها ، وعلى هتين الوظيفتين يتم بناء اللغة التي يراد لها أن تطرد وتعيش وتبقى حافظة خصائصها ، حاملة لطابعها السليقي الأصيل (أبو المكارم علي، أصول التفكير النحوي، 1392 هـ) ولولا الاستشهاد لما حفظت اللغة العربية من التلف والضياع ولأصابعها مثلما أصاب الكثير من اللغات التي اندثرت فللاستشهاد ضوابط صارمة أحاطت اللغة بعناية مركزة ضمنت لها استمراريته واستخدامها بشكلها المثالي الذي تكلمه العرب الأوائل .

6. أنواع الاستشهاد : يوجد في العربية نوعان من الاستشهاد

1.1.6 الاستشهاد العقلي:

والاستشهاد بالمعاني يقصد بالمعاني فيه - كما يؤخذ من كلام الأندلسي - المعاني العقلية ، وهي الفكر العامة أو الكلية التي تخطر للعقل أي أنها لا يقصد بها معنى لفظي أو تركيبى ويسمى استشهادا في مجال الفكرة أو المعنى العقلي أو البلاغي أو الشعري ومثاله ما جاء في شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمي في قول ابن دريد :

إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمن
أن قصاراه نفاذ وتوى

وهذا مأخوذ من قول الأسود بن يعفر: (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة، د س ن)
فأرى النعيم وكل ما يلهى به
يوما يصير إلى بلى ونفاد

ثم يورد أبياتا كثيرة جاءت في نفس المعنى أو السياق وهذا ما يعرف بالاستشهاد العقلي .

2.6. الاستشهاد اللغوي:

والواضح أن ما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون من تعريف للشاهد على أنه الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة فهو يقصد بالجزئي البيت أو الشطر الذي يستشهد به في حكم لغوي كأننا ما كان لكن كان على صاحب التعريف أن يخصص نوع الشعر الذي يستشهد به فيكون مما هو تابع لعصر الاحتجاج (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة، د س ن) وهذا ما فهم من تعريف الشاهد على أنه جزء مقتطف من الكلام الفصيح ، قيس عليه في الاحتجاج باللغة الفصيحة .

7. مجالات الاستشهاد اللغوي:

1.7. الاستشهاد الصوتي: هو كل حكم لغوي كنسبة صوت أو نطق لفظ أو صيغة أو تركيب أو استعمال إلى العربية بإثبات وروده في كلام العرب المحتج بهم كما يشمل إثبات ورود النطق أو التصرف الأدائي من إدغام وإمالة إلى سائر الأحكام الصوتية ويكون في ضبط البنية والتصريف وما يطرأ على الكلمة من إعلال وإبدال وتذكير أو تأنيث وصيغة تكسير أو تصغير وسائر الأحكام الصرفية

2.7. الاستشهاد النحوي: ويكون في الاستعمال النحوي كالتعددية واللزوم والحروف التي يعدى بها اللازم وما إلى ذلك

3.7. الاستشهاد الدلالي: ويكون في تحديد الدلالات وحركتها وتطورها وتطور استعمال اللغوي (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة، د س ن)

وهذه الأنواع شملت كل مستويات الدراسة م نصوت ونحو وصرف ودلالة فأرادوا أن تحاط اللغة من كل جوانبها فلا تفسد واحدة منها فتفسد جميعا وذلك لما في اللغة من ارتباط بين عناصرها ووحداتها.

8. تعدد رواية الشاهد:

اختلفت مواقف وآراء النحاة في الاحتجاج بالمتعدد والرافض له ويرى في ذلك صاحب الخزانة أنه كان من العرب من ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التي فطره الله عليها، وبسببه تكثر الروايات في بعض الأبيات، فلا يوجب ذلك قدحا فيه ولا غضا منه (البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، 1989)، والذي رآه صاحب الخزانة رأي صائب ذلك أن الاختلاف في الرواية في الشاهد نفسه لا يبطل أحدهما لأن سبب تعدده أن العرب كانوا يروون الشعر على فطرتهم وسليقتهم وكل كلامهم حجة .

1.8. أسباب تعدد الشاهد الشعري :

أولاً : الشاعر نفسه : وذلك أن من الشعراء من يترك القصيدة حولاً كاملاً وهو ينتقح ويمحص ويحذف ويزيد ويعرض في الأسواق حتى تظهر قصيدته بالشكل الذي يريد

ثانياً : الرواة : وكان لهم دور كبير في تعدد الرواية وذلك بذكر أكثر من وجه واحد في نقل الشواهد

ثالثاً : النحاة : كان لهم دور واضح وجلي في تعدد الرواية ، فقد يورد النحويُّ شاهداً على مسألة ما ثم يرد عليه آخر برواية أخرى للشاهد

رابعاً : اللغات واللهجات : وذلك أن الخلاف شاسع بين لغة وأخرى ومن الأمثلة إعمال (ما) لدى الحجازيين وإهمالها لدى التميميين.

خامساً : الإعجام والتصحيف : وذلك لأن العرب لم تكن تعرف التنقيط في بادئ الأمر (عاطف طالب الرفوع، الاحتجاج بشعر امرئ القيس، 2012) وللرواة دور كبير في التعدد وذلك أنهم يروون فيضيفون ويحذفون وينقصون من الكلام كما أرادوا ، وأما النحاة فكانت فكانت خلافاتهم تزيد في بحثهم عن تخريجات أخرى أسهمت كذلك في تعدد الشواهد كما أن البيت من الشعر يتداول على حسب قارئه .

9. طبقات الشعراء الذين احتج بهم:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

الطبقة الثانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسان .

الطبقة الثالثة: المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة: المولّدون، ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس، فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً . (البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، 1989) وقد سهل تصنيف الطبقات على دارسي الاحتجاج معرفة الفئات التي يحتج بها من التي لا يعتد بها .

وكذا عدّ ابن رشيق في العمدة طبقات الشعراء أربعاً، قال هم جاهلي قديم، ومخضرم، وإسلامي ومحدث قال ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدرج هكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا وجعل الطبقات بعضهم سناً وقال : الرابعة المولّدون وهم من بعدهم كأبي الطيب المتنبي ، والجيد هو الأول ، إذ ما بعد المتقدمين لا يجوز الاستدلال بكلامهم فهم طبقة واحدة ، ولا فائدة في تقسيمهم . (البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، 1989)

وابن رشيق في حديثه عن الطبقات ركز عن الطبقة الأولى أي الشعراء الجاهليين وألغى الطبقات الأخرى وجردها من الاهتمام .

1.9. الاستشهاد بالشعر:

يعد الشعر أحد مصادر الاحتجاج الموثوق بها في اللغة العربية من طرف النحاة المحتجين ويأتي بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وقد لقي اهتماماً في كلام العرب أكثر من الكلام المنثور وذلك لإعجاب العرب بالشعر وقد قال ابن نباتة : (من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه والحجج لا تؤخذ إلا منه أعني أن العلماء ، والحكماء ، والفقهاء ، والنحويين ، واللغويين يقولون : (قال الشاعر) و (هذا كثير في الشعر) و (الشعر قد أتى به) فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة والشعر هو الحجة (الطريقات - زينب فرحان، الأصول النحوية عند ابن برهان العكبري في كتابه شرح اللمع، 2005) وللشعر حظوة في الاحتجاج من كلام العرب أكثر منها في الكلام المنثور وذلك لأن العرب كانوا ميّالين للشعر لسهولة حفظه ولإعجابهم الشديد بالتغني به .

2.9. الاستشهاد بما يخرج عن النطاق الزمني المحدد :

وهذا النوع من الاحتجاج حصل خارج الفترة الزمانية المحددة والنطاق الزمني هو الوقوف على عصر الاحتجاج عند أواسط القرن الثاني للهجرة هو أبقى نطق الاحتجاج أثرا ، لأن النطق القبلية والمكانية توقف أثرها عندما وقع فعلا من الاحتجاج أو عدمه بل إن إعادة النظر فيها محدودة الأثر بالنتاج الذي وقع فعلا. أما النطاق الزمني فهو مازال يؤثر فينا إلى يومنا هذا لأنه يمنع أي تجديد في اللغة أو إضافة إلى ما كان فيها عند أواسط القرن الثاني للهجرة ومع تجدد الحياة والفكر تتجسم مشكلة اللغة التي يريد النطاق الزمني لها أن تظل محصورة في زمن معين إلا بعض الاستثناءات المحدودة جدا (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالاته ، د س ن) وهذا ما يفتح مشكلة حصر الاحتجاج في بيئة وزمن معين ولا تعطى الأهمية لمعيار الفصاحة والأمانة فكثير من الشعراء المولدين فصحي اللسان من الثقافات ورغم ذلك لم يسمح لهم حداثة ميلادهم بالاعتداد بهم . ومع ذلك فبشار بن برد من بين الشعراء الذين احتج بشعرهم على الرغم من تأخرهم عن عصر الاحتجاج يقول عنه الأصمعي : (بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم وكرر شهادته له كما شهد له أبو عمر بن العلاء ، وأبو زيد وأبو عبيدة وغيرهم وقال الجاحظ (والمطبوعون على الشعر من المولدين ... وذكر وبشار أطبعهم كلهم) وقال : (ليس في الأرض مؤلف قروي يعد شعره في المحدث إلا وبشار أشعر منه (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالاته ، د س ن) وفيه ما هو أشبه بالإجماع على أن فصاحة بشار بن برد على أنه من المولدين تضاهي فصاحة العرب السليقيين ، وهو أفصح المولدين ولذلك وردت له الكثير من الأبيات الشعرية في كتب النحويين المحتجين وأشهرها كتاب سيبويه .

وقال بعضهم أنه يستشهد بكلام من يوثق به من شعراء الطبقة الرابعة كبشار بن برد وأبي نواس ومن بعدهم وكان أبو عمرو الشيباني يقول في شعر أبي نواس (لولا أن أبا نواس أفسد شعره بما وضع فيه من الأقذار لاحتججنا به (خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ، 1974) وهذه إشارة إلى أن علة انتفاء الاحتجاج بكلام أبي نواس قذارة شعره وليس لأنه من المتأخرين حسب هذا الرأي.

10. الاحتجاج ب أشعار بشار بن برد:

1.10. طبقة بشار بن برد في الشعر:

طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورئاسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله ، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية، قد شهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز مع الشعراء فقد عاش بين فترتين زمنيتين تعاقب فيهما الحكم بين العباسيين والأمويين فكتب في أغلب أجناس الشعر وخالط الملوك وأخذ الجوائز مع الشعراء

2.10. جودة نقده للشعر:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو عبيدة: قال سمعت بشارا يقول و قد أنشد في شعر الأعشى:

و أنكرتني و ما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلع .

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى (أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، الأغاني، د س ن) فدللت هذه الملاحظة الدقيقة على تمييز بشار بين ما ينسب للأعشى وبين ما هو مصنوع إذ لم يوافق على نسبته لما فيه من ضعف في التركيب والمعنى.

3.10. رأي الجاحظ في شعره :

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره: كان بشار شاعرا خطيبا صاحب منثور و مزدوج و سجع و رسائل، و هو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه: قال الشعر في حياة جرير وتعرض له، و حكى عنه أنه قال: هجوت جريرا فأعرض عني، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس وهذه إشادة بالشاعر من واحد من كبار علوم العربية وفيه وصف دقيق لما كان عليه بشار بن برد من إبداع وتصوير فني في الشعر حيث إن الشاعر لم يترك غرضا شعريا إلا ووجدت له قصيدة فيه فهو قائل في أغلب أجناسه وضروبه .

4.10. الاحتجاج بشعره :

1.4.10. الاحتجاج بشعره ي أمثال العرب:

وهو مما ذكره الامام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) بيتا لبشار من أمثال العرب في ترك العتاب
وليس عتاب الناس للمرء نافعا
إذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

2.4.10. الاحتجاج بشعره في المجمل لابن فارس (ت395هـ)

فقال في المجمل (كرد) والكرد بالضم هؤلاء القوم (يعني ذلك الجنس المعروف) قال : ألا إن أهل الغدر أبأوك الكرد وقال المحقق إن البيت لبشار .

3.4.10. الاحتجاج بشعره في لسان العرب:

وقع الاحتجاج بشعر بشار في لسان العرب في تراكيب (برأ) (هجا) وما إلى ذلك . (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة، د س ن) وهذه بعض الكتب العربية التي وردت فيها أبيات لبشار بن برد استشهد بها من أجل توضيح مسائل في اللغة والنحو وهو بذلك أحد الشعراء الذين يعتد بقوله .

4.4.10. الاحتجاج بشعره في النحو:

جاء في شرح الكافية الشافية لابن مالك (672هـ) الاستشهاد ببيت لبشار:

رُدُّوا ، فوالله ما ذدناكم أبدا
مادام في وردنا ماء لنزال

على أن جواب القسم – إذا أريد نفيه – قد ينفي بما ، كما قد ينفي بأن أولا وفي شرح الرضى الاسترأبادي للكافية في روابط الحال الواقعة جملة جاء يقول بشار: إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي علي سواد شاهد لوقوع الضمير الرابط في صدر الجملة الخبرية وهذا الصدر خبر مقدم على مبتدئه ، وحكم بأن تجرد مثل هذه الجملة الحالية عن واو الحال (كما هو هنا) ليس ضعيفا.

ونسب إلى سيبويه أنه احتج بشعر لبشار توقيا لهجائه (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة، د س ن) وفيه اختلاف في صحة نسبة هذا البيت وهناك من ينسبه لأبي الأسود الدؤلي .

قال: وقال غير أبي حاتم: إنما بلغه أن سيبويه عاب هذه الأحرف عليه الاخفش، فقال يهجو: أسبويه يا ابن الفارسية

ما الذي تحدت عن شتي وما كنت تنبذ

و أمك بالمصريين تعطي وتأخذ

أظلت تغني سادرا في مساءتي

قال: فتوقاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه ووجد له شاهدا من شعر بشار احتج به استكفافا لشُرّه. (جبل محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة، د س ن)

والأمر نفسه بالنسبة لسيبويه أنه كان يتوقى سيبويه لسوء لسانه فيحتج بشيء من شعره إرضاء له ولو كان ممن لا يجوز شعرهم لما احتج به سيبويه ولو نظم ألف قصيدة في هجائه .

كما عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه همّ بهجوه: أخبرني عتي قال حدثني الكراني عن أبي حاتم قال: كان الأخفش طعن على بشار في قوله :

فالآن أقصر عن سمية باطلاي
و أشار بالوجل على مشير

وفي قوله في صفة سفينة:

تلاعب نينان البحور وربما
رأيت نفوس القوم من جرّها تجري

وقال: لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، ولم أسمع بنون ونينان ؛ فبلغ ذلك بشارا فقال: ويلى على القصّارين متى كانت الفصاحة في بيوت القصّارين دعوني وإياه؛ فبلغ ذلك الأخفش فيكى وجزع؛ فقل له: ما يبكيك ؟ فقال: وما لي لا أبكي و قد وقعت في لسان بشار الأعمى ، فذهب أصحابه إلى بشار فكذبوا عنه و استوهبوا منه عرضه و سألوه ألا بهجوه؛ فقال: قد وهبته للوم عرضه. فكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه ليبلغه ؛ فكفّ عن ذكره بعد هذا (أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، الأغاني، د س ن)

لكن على الرغم مما جاء في كتاب الأغاني من ذكر للأخفش أنه كان يخشى هجاء بشار بن برد فيورد له أبياتا من شعره يستشهد بها فيه نوع ما من الخروج عن موضوعية وصرامة البحث اللغوي عند العرب ، والحقيقة أن شعر بشار بلغ من الفصاحة ما بلغ فلم يكن مانع المحتجين بشعره إلا تأخره عن عصور الاحتجاج.

5.10. احتجاج بعض الأئمة بكلام بشار بن برد :

وما لا يُغفل عن ذكره احتجاج بعض الأئمة بكلام المولّدين عموما وكلام بشار على وجه الخصوص نذكر:

أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب : (291هـ) احتج للهجا وهو كل ما كنت فيه فانقطع عنك وأنه يقصر وهمز -بقول بشار (167هـ) :

وقضيت من ورق الشباب هجا
من كل أحور راجح حسبه

ووقع ذلك في تهذيب اللغة (جبل محمد حسن ، الاحتجاج بالشعر في اللغة ، د س ن) وهذا احتجاج لغوي أثبت به معنى كلمة هجا بالاستناد إلى قول بشار.

أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (370هـ) جاء في معجمه تهذيب اللغة باحتجاجات لغوية من شعر المولدين في تراكيب كثيرة منها احتجاجه ل(وتد فلا رجله في الأرض) إذا ثبتها بقول بشار

ولقد قلت حين وتد في الأرض
ثبير أربى على شعلان

(جبل محمد حسن ، الاحتجاج بالشعر في اللغة ، د س ن)

الأمر نفسه بالنسبة للاحتجاج السابق وضح به المحتج بشعر بشار معنى الفعل وتد ولو لم يكن بشار من الشعراء الفصحاء الأئمة لما احتج به هؤلاء الأئمة في مؤلفاتهم وكتبهم .

احتجاج كل من الامام محمد بن عبد الله (بن مالك)ت(672هـ) والشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت 686هـ) بشعر بشار (جبل محمد حسن ، الاحتجاج بالشعر في اللغة ، د س ن) وهذان فيهما تقرير على كثرة احتجاج المتأخرين بشعر بشار على عكس المتقدمين الذين لم يحتجوا بشعر إلا نادرا .

11. خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نكون قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج، والتي تدور بين من هو محتج بشعر المولدين عامة وبشار بن برد خاصة وبين النحاة الرافضين لذلك، وقد تبين أن النحاة المتقدمين لم يحتجوا بأشعار بشار، والصحيح أن الاستشهاد بدأ في شعره مع المتأخرين وأقدمهم في الاحتجاج به الجرجاني (المتوفى سنة 471هـ) فكانت حجة العلماء في عدم الأخذ عنه أنه من المولدين، حتى ولو كان كلامه مما تحسب له الفصاحة، وكل ما عُرض من مواقف لبعض الأئمة في اللغة والنحو إنما هو احتجاج خارج النطاق الزمني المحدد، وأن هؤلاء اللغويين اطمأنوا لهؤلاء المحتج بهم لفصاحتهم، وقد نحتاج علمياً إلى إعادة النظر في معايير الفصاحة اللغوية، فلا يحكم على الجديد بالنقص والضعف، ولا يقتصر الباحثون إلى يوم القيامة استشهادهم فقط بالمتقدمين من العرب، فالموثوق بفصاحته مقبول للاحتجاج به شريطة أن لا يخالف أصلاً من أصول العربية.

12. قائمة المراجع:

- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي النصري)، لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، 1426هـ-2005م، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- جبري عبد الرؤوف، 1992، الشواهد اللغوية، مجلة الأبحاث للنجاح.
- نجيب اللبدي محمد سمير، 1405هـ، 1985م، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت.
- محمد حسن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة، -الواقع ودلالاته، دار الفكر العربي، القاهرة.
- التهانوي محمد علي الفاروقي، تح: علي دحروج، تر: جورج زيناتي، 1996، كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان، بيروت.
- عيد محمد: 1988. الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب.
- تمام حسان: 1982م، الأصول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- أبو المكارم علي: 1392هـ، أصول التفكير النحوي، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا.
- البغدادي عبد القادر بن عمر، 1989م، خزنة الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- طالب الرفوع عاطف، 1433هـ-2012م، الاحتجاج بشعر امرئ القيس، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الطريقات، فرحان زينب، 2005م، الأصول النحوية عند ابن برهان العكبري في كتابه شرح اللمع، جامعة مؤتة.
- الحديثي خديجة، 1394هـ، 1974م، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت.
- علي بن الحسين أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: دار إحياء التراث العربي.